وبطليموس الخامس اقل البطالسة شهرة وكان ضعيف الرأي كسولاً كذوباً لا يؤمن شرهُ ولا تصدق كلمتهُ عمى عليهِ وجوه ليكوبوليس (اسيوط) ثم امنهم فاستأمنوا لكنهُ خان عهدهُ معهم وعذَّبهم اشد العذاب وعصاهُ غيرهم ثم استأمنوا فامنهم ولما صاروا في يدهِ ربطهم الى المركبات وجرَّهم في الشوارع ثم عذَّبهم عذاباً اتيًا الى ان ماتوا

وسنة ١٨٢ قبل المسيح حاول جمع الجنود والخروج لقتال الملك سلوقس الرابع الذي خلف اباهُ انطيوخس ليسترد منهُ فلسطين وغربي سورية ورأى وجوه المصريين هذه الحرب عبئاً ثقيلاً عليهم فدسوا لهُ السم فمات مسمومًا وعمرهُ ٢٨ سنة وترك ولدين خلفاهُ على سرير الملك

مفاخر اهل الادب

من العجم والعرب

لمَّا أبرع شعر نظمهُ العرب جاهليتهم ومحدثوهم انما هو من باب الفخر ولمَّا اعظم فخير فيهم ضرًّا ابو الطيب المتنبي اذ لا تكاد قصيدة من قصائدهِ تخلو منهُ . ولو جئت تبوّب الشعر العربي لكفتك اربعة ابواب الغزل والمدح والفخر والرثاء . بل ان القصيدة الواحدة قد تتضمن الاربعة معًا . خذ قصيدة المتنبي في رثاء اخت سيف الدولة الصغرى فانهُ استهلها يمدح سيف الدولة فقال

ان يكن صبر ذي الرزية فضلا تكن الافضل الاعزَّ الاجلاَّ

واتبع الاستهلال باثنين وعشرين بيتاً كلها مدح لسيف الدولة وفيها اشارة خفية الى الحزن والاسى والتعزية والسلوان وغير ذلك مما يتطلبهُ الرثاء . ثم تخلص الى الرثاء ثم عاد يمدح . وخذ قصيدتهُ في رثاء والدة سيف الدولة . فانهُ بدأها بالفخر بصبره على رزايا الدهر فقال

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبالِ
فصرت اذا اصابتني سهام تكسرت النصال على النصالِ

ثم تخلص الى التنزل بجمالها وخصالها فقال

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمالِ

على المدفون قبل الترب صولاً وقبل اللحد في كرم الخلال

حتى عابوا عليهِ ذلك فقال بعضهم ان وصفهُ ام الملك بالجمال غير مختار . ثم تخلص الى مدح سيف الدولة ورثاء امهِ

أعود الى موضوعنا الخاص فأقول ان عيون القصائد في الشعر العربي من باب الفخر فما من شاعر الاَّ قرأ قصيدة طرفة التي يفتخر فيها بقومهِ واعجب بها وهي التي يقول فيها

سائلوا عنَّا الذي يعرفنا بقوانا يوم تجلاق اللِّمَمْ

ومن الفخر قول عبيد بن الابرص الاسدي

واني لاطفي الحرب بعد شبوبها وقد اوقدت للنيِّ في كلِّ موقد

واني لذو رأي يعاش بفضلهِ وما انا من علم الامور بمبتدِ

وقول ابي العلاء المعرّي

ألا في سبيل المجد ما انا فاعل عفاف واقدام وحزم ونائلُ

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم باخفاء شمس ضوءها متكاملُ

يهمُّ الليالي بعض ما انا مضمرٌ ويثقل رضوى بعض ما انا حاملُ

واني وان كنت الاخير زمانهُ لآتٍ بما لم تستطعهُ الاوائلُ

وقول ابي تمام

انا ابن الذين استرضع الجود فيهم وقد سار فيهم وهو كهل ويافعُ

مضوا وكأنَّ المكرمات لديهم لكثرة ما اوصوا بهنَّ شرائعُ

وقول ابي فراس الحمداني

ووالله ما قصرت في طلب العلا ولكن كأن الدهر عني غافلُ

فمثلي من نالـ الاعادي بسيفهِ ويارب غالتهُ عنها المقاتلُ

وقول بشر الاسدي في قومهِ

نعلو القوانس بالسيوف ونعتزي والخيل مشعلة النحور من الدمِ

نحبو الكتيبة حين تفترش القنا طعناً كإلهاب الحريق المضرمِ

وقول عروة

سلي الساغب المعترَّ يا ام مالك اذا ما اعتراني بين قدري ومجزري

أبسط وجهي انهُ اول القرى وابذل معروفي لهُ دون منكري

وقول الطغرائي

أبى الله ان اسمو بغير فضائلي اذا ما سما بالمال كل سوقد
وان كرمت قبلي اوائل أسرتي فاني بمجد الله مبدأ سؤددي

وقول الفرزدق

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وان نحن اومأنا الى الناس وقفوا
ولا عز الا عزنا قاهر له ويسألنا النصف الذليل فننصف

وتكاد ترى للمتنبي شبيهاً من الفخر في كل قصيدة من قصائده ولو في بيت واحد منها . عزم على مدح علي الشوحي فبدأ بمدح نفسه فقال

افكر في معاقرة المنايا وقود الخيل مشرفة الهوادي
زعيم لقنا الخطي عزمي بفك دم الحواضر والبوادي

ثم تخلص الى مدح ممدوحه . وهكذا فعل في القصيدة التي مدح فيها المغيث حيث قال

نؤاد ما تسليه المدام وعيش مثل ما تهب الغمام
ودهر ناسه ناس صغار وان كانت لهم جثث ضخام
وما انا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

ثم تخلص الى مدح ممدوحه بعد مدح نفسه . وقوله في قصيدة مدح فيها بدر بن عمار

ارى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمد الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

وقوله

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من به صمم
انام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

ومن غريب فخره قوله

ضاق ذرعاً بان اضيق به ذر عاً زماني واستكرمتني الكرام
واقفاً تحت خصمي بقدر نفسي واقفاً تحت خصمي الانام

وكان يرثي جدته وقد غلبه الاسى فلم يسر نفسه فيما هو يقول

حرام على قلبي السرور فانني اعد الذي مات به بعدها سقما

ثم اراه يقول بعد ذلك بعدة ابيات

فاصبحت استسقي الغمام لقبرها وقد كنت استسقي الغوى والقنا العصما

وبينما هو يمدح منبتها وكرم أصلها يرى من العار ان لا يمدح نفسهُ ايضاً فيقول في بيت واحد

ولو لم تكوني بنت أكرم والد لكان اباك الضخم كونك لي أبا

ويقول ايضاً في القصيدة نفسها

لئن لذَّ يوم الشامتين بيومها لقد ولدت مني لأنفهم رغما
وما الجمع بين الماء والنار في يدي باصعب من ان اجمع الجدَّ والفهما
واني لمن قوم كأن نفوسهم بها انف ان تسكن اللحم والعظما

ومن اغرب مخروجمعهُ بين مدح ممدوحهِ ومدح نفسهِ في بيت واحد وهو

شاعر المجد خدنهُ شاعر اللف ظ كلانا ربٌّ المعاني الدقاق

وقصيدتهُ المشهورة التي مطلعها

أطاعن خيلاً من فوارسها الدهرُ وحيداً وما قولي كذا ومعي الصبرُ

نظمها لمدح احمد بن عامر الانطاكي فجعل معظمها في الفخر بنفسهِ

وليس الفخر من شيمة ادباء العرب فقط بل ترى كتب الادباء في كل عصر وملة موسومة بهِ ولا بدع ان يكون ذلك كذلك ما دام الافتخار بالنفس والاهل والوطن خلة فطر الانسان عليها . وهاك بعض الامثلة على ذلك

قال ارستوفانيس من شعراء اليونان القدماء الذين اشتهروا بكتابة الروايات التمثيلية من نوع الكوميديا عن نفسهِ انهُ افضل شاعر وانهُ يستحق اعظم الاكرام بالنظر الى ما ابداه من الجرأة في تقبيح المساوىء والمفاسد العمومية والطعن على اصحابها

وقال يوريبدس من شعراء اليونان الذين اشتهروا بنظم الروايات التمثيلية من نوع التراجيديا وقد فاخرهُ متشاعر بكثرة ما نظم " ان اشعارك الكثيرة ستفنى حالاً واما اشعاري فستبقى ذخراً "

وقال هوراس الشاعر الروماني المشهور " لقد نصبت تمثالاً أبقى على الدهر من تماثيل النحاس وأعظم من الاهرام . ولست اموت بل أنجو الى الابد ويكون ذكري جديداً عند الخلق "

وقال ثوسيديديس المؤرخ اليوناني المشهور " كتبت تاريخي ليكون ذخيرة العصور لا مقالة او خطبة يصفق لها تصفيق الاستحسان وقتياً ثم ينقضي خبرها "

وقال بلينيوس " أسعد الناس من يتأكد في حياتهِ ان سمعتهُ طيبة خالدة ويتمتع بالمجد والفخر اللذين يقيان لهُ في الازمنة المقبلة . أليس هذا الجزاء نصب عيني "

وقال دانتي الشاعر الايطالي ان اسمهُ ومؤلفهُ سيكونان عظيمين خالدين

وقال ملتون الشاعر الانكليزي وصاحب "الفردوس المفقود" و"الفردوس المردود" انهُ انما كتب للاجيال المقبلة

وقال شكسبير المشهور "لا الرخام ولا التماثيل المذهبة التي تنصب للامراء تبقى بقاء قوافي المتينة"

وكان سرفنتس الاسباني صاحب المؤلف المعروف باسم "دون كيشوت" يلوم معاصريهِ على كسلهم وتراخيهم ويقول "كلُّ من ينمُّ شعرهُ عليهِ ويدلُّ على انهُ شاعر يجب ان يعجب بنفسهِ ويصدق المثل القائل من يظنُّ نفسهُ خيثاً فهو كذلك"

وتلا جونسن الكاتب الانكليزي على مسمع جولد سمث الشاعر الانكليزي بيتاً من ابيات اوفيد الشاعر الروماني ترجمتهُ "لعلَّ اسماءنا تمتزج باسمائهم" اشارة الى انهُ يعتقد ان سيكون لما يتركهُ هو وصديقهُ من الآثار الادبية ما لنظومات اوفيد من الشهرة

وشرع المستر كليمنس الكاتب الاميركي المشهور الذي انتحل اسم "مارك توين" في كتابة تاريخ حياتهِ على ان ينشر بعد موتهِ وصدَّرهُ بمقدمة اكثر فيها من الفخر فقال: —

"غايتي ان يكون هذا التاريخ انموذجاً ينسج على منوالهِ من يكتب سيرة حياتهِ. وان يقرأهُ الناس ويعجبوا بشكلهِ وطريقتهِ قروناً طوالاً. وقد بنيتُ على اساس اردت ان يكون على تمام الاختلاط والارتباك. ولا ينتهي حتى اموت. ولو اني وقفت اتلو على كاتب الخط المختزل ما يجول في صدري ويخطر في خاطري ساعتين كلَّ يوم مدة مئة سنة ما سطَّر عشر ما رأيت وخبرت من الامور المهمة في هذا العمر

وقد قلت لصديقي هولس ان هذا التاريخ يعيش الفي سنة عفواً بلا جهد ولا كلفة ثم ينتفض ويجدِّد شبابهُ ويعيش ما بقي من الزمان. فوافق صديقي على قولي وقال انهُ يعتقد اعتقادي وسألني عما اذا كنت انوي ان اجعلهُ مجلدات كثيرة فأجبتهُ ان هذا غرضي ولكني اذا عشت طويلاً لا تسع مدينة مجلداتهِ بل لتقضي بلاداً باسرها. ولا يستطيع رجل من ارباب الملايين الكثيرة شراءها كلها الاَّ اذا دفع ثمنها اقساطاً متقطعة. فأمَّن صديقي على كلامي وأطنب في مدحي ونعم ما فعل اذ لو لم يفعل ذلك لتذوقت بهِ من الشباك. فاني احب الانتقاد بشرط ان يكون على مقتضى هواي"

أقول والذي يعرف انطباع مارك توين على الهزل والمزاح في كتاباتهِ يعلم ان ما ابداهُ من الادعاء في هذه المقدمة انما هو هزل في معرض الجد

ولم يمنع الفلاسفة حبهم للحكمة من حبهم للفخر والفخفخة بل ان اكثر الكتّاب فخرًا شوبنهور الفيلسوف الالماني فانهُ كان يهزأ بكتابات معاصريهِ من الفلاسفة مثل فختي وهيجل وشلنغ ويقول عن هؤلاء الفلاسفة انهم طبول فارغة ومشعوذون . وترك كتابًا بخط يدهِ عنوانهُ "انا" وملؤهُ دعوى وغطرسة . وفيهِ مقالة في تاريخ الفلسفة خصَّ منها فصلاً بذكر محاسن فلسفتهِ وفضائلها فقال "وسيعلم الناس بعد موتي ان كلَّ ما كتبهُ غيري من نوع ما كتبتهُ انا انما هو قول هراء . فقد اغلت الناس امورًا شتى بهذا الصدد لن ينسوها وسيبقى ما كتبتهُ أبد الدهر" . ولا ينكر ان فلسفة شوبنهور من الطبقة الاولى ومن رأي كثيرين انها تستحق مفاخرهُ

واختم هذا المقال بقول الشاعر الروماني مارسيال "كلما قلَّت بضاعة الشاعر وركَّت عبارتهُ كثر فخرهُ" فاذا صحَّ ذلك كان المتنبي اقل الشعراء بضاعة واركهم عبارة لانهُ اكثرهم فخرًا ولكنهُ ليس بصحيح لانهُ اشعر من نطق بالضاد بلا خلاف . ويظهر مما تقدم من المفاخر ان شعراء العرب الذين ذكرتهم لم يكادوا يفتخرون بغير نسبهم وكرم عنصرهم وشرف منبتهم وبسالتهم ولم يفتخر باديهِ منهم سوى المتنبي . واما شعراء العجم الذين نقلتُ ما نقلتُ من الامثلة المتقدمة عنهم فانما افتخروا بما كتبوهُ وصنفوهُ ولم يشر احد منهم الى اصلهِ وفصلهِ فهم وشعراء العرب في ذلك على طرفي نقيض (ن . ش)

حقوق الامم

(٣) حقوق الحكومات وواجباتها

الحكومات مثل الافراد لها حقوق وعليها واجبات

فكما ان الفرد الانساني يخلق مكتنفًا ببني جنسهِ وبعادات وظروف لا بدَّ لهُ من تكييف معيشتهِ بموجبها كذلك الحكومة وسط الحكومات الاخرى لها ان تطالب بحقوق يقتضي بها عليها مجرَّد وجودها كما ان عليها واجبات لا بدَّ من العمل بها واتباعها اذا شاءت ان تحافظ على كيانها

اما حقوق الحكومات فكثيرة عدَّدها بعض المؤلفين وحصرها ولم يقيدها البعض الاخر بروابط بل اكتفى بوضع مبدإ عمومي تستنتج هذهِ الحقوق منهُ

على ان من ينظر الى اختلاف هؤلاء المؤلفين يجدهُ سطحيًّا لا وجود لهُ لا بل يجد